النسبية اللغوية في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية

أ.م.د. ياس خضر عباس العباسي
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

Linguistic relativity in the field of cultural anthropology

Ass. Prof. Dr. Yass Khadr Abbas Al-Abbasi
College of Arts\ University of Mustansiriya
Yass alyass105@yahoo.com

Abstract:

The term "linguistic relativity" is used in its general formulation to refer to different hypotheses or positions on the relationship between language and culture, which states that the structure of language has an impact on how the speaker understands the world. The speaker's perception of the world varies according to his or her language. The cognitive classification of the world is experienced in the way that speakers of different languages believe and behave differently because of it. The aim of the research is to explain the academic roots of the term, origin, use and the most important linguistic contributions in the field of anthropological study, while the importance of the discussion of the constitutive literature directed towards linguistic relativity, especially the contributions of Professor Edward Sapir, And the linguistic orientation and the most important elements and uses in (B. L. Whorf).

Keywords: Linguistic relativity, linguistics, E. Sapir, B. L. Whorf

الملخص:

يستعمل مصطلح النسبية اللغوية بصياغته العامة للإشارة إلى فرضيات أو مواقف مختلفة عن العلاقة بين اللغة والثقافة التي تنص على انه لبنية اللغة أثرا في كيفية فهم المتكلم للعالم، حيث أن نظرة المتكلم إلى العالم تختلف باختلاف لغته، وتؤثر المفهومات والفئات الثقافية المتنوعة المتأصلة في اللغات المختلفة على التصنيف المعرفي للعالم ذي الخبرة بتلك الطريقة التي يعتقد بها المتحدثين للغات مختلفة والتصرف بشكل مختلف بسبب ذلك. يتجه هدف البحث نحو بيان الجذور الاكاديمية للنسبية اللغوية من حيث النشأة والاستعمال وأهم الإسهامات اللغوية في مجال الدراسة الأنثروبولوجية، في حين تظهر الأهمية في مناقشة الأدبيات الأنثروبولوجية التأسيسية التي تمثلت في اسهامات كل من الأستاذ (ادوارد سابير) والتوجه نحو الفرد واللغة والثقافة وإسهامات الأستاذ (بنيامين اي وورف) في مجال النسبية اللغوية وبيان اهم المقومات والتوجهات.

الكلمات مفاتيح: النسبية اللغوية، اللغويات، ادوارد سابير، بنيامين لي وورف

المقدمة:

تمتد التصورات والتوجهات التأسيسية للعلاقة بين اللغة والفكر وبالتالي مفهوم النسبية اللغوية الى أكثر من ثلاثة قرون، فالنسبية اللغوية: مصطلح عام يستعمل للإشارة إلى فرضيات أو مواقف مختلفة عن العلاقة بين اللغة والثقافة التي تنص على انه بأن لبنية اللغة أثرا في كيفية فهم المتكلم للعالم، حيث أن نظرة المتكلم إلى العالم تختلف باختلاف لغته، وتؤثر المفهومات والفئات الثقافية المتنوعة المتأصلة في اللغات المختلفة على التصنيف المعرفي للعالم ذي الخبرة بتلك الطريقة التي يعتقد بها المتحدثين للغات مختلفة والتصرف بشكل مختلف بسبب ذلك. وان أثر البنية اللغوية على إدراك مستعملي اللغة لها صداها في مجالات اللسانيات الأنثروبولوجية، وعلم النفس، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة العصبي، والعلوم المعرفية، والأنثروبولوجيا اللغوية، وعلم اجتماع اللغة وفلسفة اللغة، وقد كانت موضوع دراسات مستفيضة في كل هذه المجالات. وقد جذبت توجهات التأثيرات اللغوية على الفكر (أيضا) عقول المؤلفين والفنانين المبدعين الذين ألهموا العديد من الأفكار في الأدب، وفي خلق اللغات الاصطناعية وحتى أشكال العلاج مثل البرمجة اللغوية العصبية[١]. يتجه هدف البحث نحو بيان الجذور الاكاديمية للاصطلاح من حيث النشأة والاستعمال وأهم الإسهامات

اللغوية في مجال الدراسة الأنثروبولوجية، في حين تظهر الأهمية في مناقشة الأدبيات التأسيسية التي توجهت نحو النسبية اللغوية ولاسيما إسهامات الأستاذ (ادوارد سابير) والتوجه نحو الفرد واللغة والثقافة وإسهامات الأستاذ (بنيامين اي وورف) في مجال النسبية اللغوية وبيان اهم مقوماتها واستعمالاتها.

اولا: النسبية اللغوية (الجذور والنشأة)

يعود تشابك اللغة والفكر إلى الحضارات الكلاسيكية، ولكن في تاريخ الفلسفة الأوروبية لم تعد العلاقة أساسية، اذ رأى القديس أوغسطين (Augustine) على سبيل المثال، أن اللغة مجرد علامات مطبقة على المفهومات الموجودة بالفعل، ونظر آخرون أن اللغة ما هي إلا حجاب يغطي الحقائق الأبدية التي تخفيهم عن تجربة إنسانية حقيقية.

تعد صيغة الفيلسوف والكاتب الألماني يوهان جورج هامان (J. G. Hamann) الأولى (أكاديميا) في مناقشة العلاقة بين اللغة والفكر. على الرغم من كونه معاصرا لفلسفة التنوير وان اغلب أعماله قد نشرت في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، الا ان وجهات نظره كانت مناهضة لتلك الفلسفة، اذ على وجه التحديد لم يوافق على تلك العقيدة التي جاء بها الفيلسوف الألماني (E. Kant) والتي مفادها ان اللغة كانت نتاجًا للإمكانية او كفاءة العقل البشري الفطري، وانما اعتقاده بأصل اللغة الإلهي، وكانت البداية، عندما دعا الرب العالم إلى الوجود من خلال الشعارات السماوية، التي اشترك بها الإنسان أيضًا، وبعد أن علّمنا هذه المعجزة اعاد خلق واقعه الروحي عن طريق اللغة الإنسانية(Ch. McAfee: 2004, p27).

فاللغة عند (Hamann) المعطى الاولي، حدثت بالتزامن مع التفكير في عملية التواصل التلقائي او العفوي، وانها لم تكن مجرد نتاج العقل، وانما دخلت في بنية التصور ذاته، وكانت عاملاً تأسيسيًا في تطوره. ونتيجة لهذا السبب، لم تكن هناك أي كلية عالمية للعقل، لأنه يعد مسلمة بديهية لجميع البشر (أي ما أشار إليه الفيلسوف Kant تحت عنوان الحس المشترك Common sense) وكان يجب عد العقل متناسبًا مع اللغة الخاصة التي يتحدث بها الناس(Miller: 1968, p17) .

وشرح نظريته في مؤلفه (المقالة المعنية بالسؤال الأكاديمي) عام (١٧٦٠)، عن اللغة الفطرية التي يتميز بها كل الناس، بالقول: أن كل جماعة أو امة لها عقلية (ذهنية) طبيعية منفصلة خاصة بها، هذه العقلية الطبيعية هي التي تندرج أيضًا تحت عنوان عبقرية الثقافة (the genius of a culture) التي تنعكس في قوانين الامة وعاداتها وثقافتها الخارجية (Miller, 1968:18).

وتعقب الفيلسوف يوهان جوتفريد هردر (J. G. Herder) آراء استاذه (Hamann) عن العلاقة بين اللغة والفكر ومدى انعكاس هذا التأثير، اذ اقر في كتابه الأول (لمحات عن الأدب الألماني الحديث)، الذي نُشر عام (١٧٦٨) موافقته لغالبية التوجهات النظرية التي جاء بها استاذه موضحاً: لا يمكننا ان نعتقد من دون أفكار، وان نتعلم التفكير من خلال الكلمات، وتمنحنا اللغة بعد ذلك المعرفة البشرية كلها، بحدودها ومعالمها. اذ يعكس هذا التصور إيمانه باللغة كمبدأ أساس، وعلى النقيض من استاذه، لم يدافع عن الأصل الإلهي للغة، ورأى أن اللغة قد نشأت وتطورت كنتيجة للقوى النفسية والتاريخية والطبيعية (Miller, 1968:23).

ويضيف، ان واحدة من هذه الاساسات هي القوى النفسية (التي لا ينبغي الخلط بينها وبين العقل) التي تعد مثالية بالتميز ورجاحة العقل (Sophrosyne)، وهذا يعني قدرة الإنسان الفطرية الفريدة على التفكر. وقد تأثر في موقفه هذا بالميدان الناشئ في علم الأحياء في وقته(أي توجهات عالم الاحياء والفيلسوف Liebnitz على وجه الخصوص)، لذا تركزت نظريته على نمو وتطور اللغة بمصطلحات توازي نمو الكائن الحي، واعتقد أن اللغة تعكس السياق التاريخي والجيوفيزيائي (أي فيزيائية الارض Geophysical) والنفسي، وتعد اي لغة مع خصوصياتها وسماتها الخاصة، انعكاسا لعقلية الامة، وأن دراسة اللغات المختلفة للكرة الأرضية سيكون أفضل مساهمة نحو فلسفة التفاهم بين البشر، وكان يعتقد (من الناحية النظرية) أن فهم لغة ما يمكن أن يكشف عن العقلية الطبيعية لمتكلميها، وهذا يعني أن السمات الخارجية للغة معينة يمكن أن توفر دلائل عن طابعها الداخلي(Miller, 1968:20-23)

وشدد الفيلسوف الألماني (W. V. Humboldt) والمنظر للنسبية اللغوية وللغة بشكل عام في أوائل القرن التاسع عشر، على القوة الإرشادية للكلام، اي قوة اللغة لتعليم المتحدثين بها وتغيير العملية المعرفية نفسها، اذ وفقا لنظريته، كانت اللغة والفكر واحدة،

فاللغة ليست نتاج للفكر، وانما كانت نشاطًا من خلال التجمع الفكري غير النموذجي وتجمع الصوت غير المتساوي، وانه من دون لغة، لا يمكن للفكر أن يكون جليا أو واضحًا تمامًا. ورأى أنه لا ينبغي دراسة اللغات عن طريق الكلمات أو الصفات وحدها، وانما ينبغي عدها كالشبكات، التي من خلالها يتم توصيل جميع الصفات، كما يؤثر التركيب الإبداعي للغة (العملية التي يتم إنتاجها بها) على جميع مستويات الكلام دفعة واحدة، أي على مستوى الكلمة، ومستوى الجملة، والمستوى الصوتي، إلخ. (Miller, 1968:26-27)

وربط دراسة اللغة بالبرنامج الرومنطيقي القومي عن طريق اقتراح وجهة نظر مفادها أن اللغة هي نسيج الفكر ذاته، أي تنتج الأفكار بوصفها نوع من الحوار الداخلي باستعمال نفس القواعد مثل اللغة الأصلية للمفكر. ويعد هذا الموقف جزءًا من صورة أكبر كان ينظر فيها إلى العالم بوصفه أمة اثنية او عرقية، فكانت النظرة الشمولية الخاصة بها تنعكس بأمانة في قواعد لغتها. وناقش بأن اللغات ذات الصياغة التشكلية (أي المورفولوجية) التي ينعكس فيها التصادم، مثل اللغات الألمانية والإنجليزية وغيرها من اللغات الهندية الأوروبية[٢]، هي أكثر اللغات مثالية، وبالتالي فإن هذا يفسر هيمنة المتحدثين الفوقيين على المتحدثين بلغات أقل مثالية. وصرح بان تنوع اللغات ليس تنوعًا في العلامات والأصوات، وانما تنوعًا في رؤى العالم. وكانت فكرة أن بعض اللغات متفوقة بشكل طبيعي على الأخريات وأن فكرة استعمال اللغات البدائية من قبيل الفقر المدقع بالنسبة للمتحدثين بها، واسعة الانتشار في أوائل القرن العشرين.

لقد مهد (Humboldt) كأول أوروبي يجمع بين معرفة اللغات الأوروبية غير الهندية والخلفية الفلسفية الواسعة، وتمهيد الطريق لعدد من علماء مثل(B. L. Whorf)، وشدد على أن معظم الأفكار لا يمكن فصلها الى كلمات لغة معينة وأن الترجمة الدقيقة كانت مستحيلة (Penn, 1972:19). وقدم على سبيل المثال كلمة فيل (elephant) في اللغة السنسكريتية واللغة الإنجليزية. اذ في اللغة السنسكريتية، كانت هناك عدة كلمات تدل على معنى مختلف، في حين أنه يوجد في اللغة الإنجليزية لفظة واحدة فقط. واعرب عن اعتقاده أن هذا من شأنه أن يؤدي (فضلا عن الإدامة) الى طرق مختلفة لإدراك او تصور الحيوان في الثقافات المرتبطة بها (Penn, 1972:30). وشعر بأن كل ثقافة لها وجهة نظرها الخاصة بها، وان الفرق بين اللغات ليس من الأصوات والعلامات، وانما من التنوع في وجهات النظر او المنظورات العالمية، والسبب الذي يعطيه لمثل هذه الاختلافات في هو الوجود الغامض لأرواح الامة الفردية أي (الروح/العقل)، واكد على إن البنية الداخلية للغة هي انعكاس لروح الامة وتؤثر على وعي الشعب، ويمكن بسهولة تشبيه هذا إلى الفرضية التي جاء بها (Whorf) حيث تعطي آليات اللغة (المفردات، التركيب اللغوي، والميزات النحوية) نظرة ثاقبة لعديد من المتكلمين المصغرين من تجربة اللغات الفردية(Penn, 1972:20-22).

ولم يكن (F. Boas) مؤسس المدرسة الأمريكية للأنثروبولوجيا، نسبيًا لغويًا، ولكن نظرياته الثقافية مهمة في تأسيس الاعمال المعنية بالنسبية اللغوية والتي ظهرت فيما بعد على اسهامات كل من(Sapir and Whorf)، اذ تشكلت أفكاره كرد فعل على أتباع التطور الثقافيين الكلاسيكيين والنظرة الهدامة عن اللغات غير المكتوبة، فضلا عن احترامه للثقافات غير الغربية ورؤى للعالم (Kay, 1983:1). واستندت تصوراته الى ان كل ثقافة متميزة بحد ذاتها، ويجب دراستها فيما يرتبط بتاريخها الخاص ومحيطها وممارساتها ولغتها. علاوة على ذلك، كان يعتقد أن عناصر كل ثقافة قد تم تنظيمها من خلال مبدأ تنظيمي مركزي واحد. وبوصفه عالم في الأنثروبولوجيا، كان يعد تعلم اللغة، بمثابة المفتاح الذي يكشف ماهية هذا المبدأ (Rollins, 1980:53).

ثانياً: ادوارد سابير (الثقافة بوصفها لغة)

توفي الاستاذ(Edward Sapir) عام (١٩٣٩) عن عمر تجاوز (٥٥ سنة) بأيام، اذ ولد في ألمانيا عام (١٨٨٤)، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة مع أسرته، فالتحق بجامعة كولومبيا التي منحته شهادة الدراسة الجامعية عام (١٩٠٤) ثم الماجستير عام (١٩٠٥) عند دراسة اللغة الألمانية، ثم تحول بعد ذلك تحت تأثير الاستاذ (F. Boas) إلى الأنثروبولوجيا واللغويات، فتباينت اعماله الميدانية بين الشينوك (Chinook) شمال غرب المحيط الهادئ عام (٢٠٠٥)، وسكان(Takelma) جنوب غرب ولاية أوريغون عام (٢٠٠٦)، وسكان يانا(Yana) في كاليفورنيا الشمالية من عام (١٩٠٧-١٩٠٨)، بعدها حصل على درجة الدكتوراه في عام (١٩٠٩) في موضوع القواعد اللغوية عند هنود تيكلما(Takelma). وتدرج في شغل المناصب، اذ عمل باحثاً أنثروبولوجيا مساعداً في جامعة

كاليفورنيا للمدة (١٩٠٧–١٩٠٨)؛ ثم مدرساً للأنثروبولوجيا في جامعة بنسلفانيا، (١٩٠٨–١٩١٠) ورئيس قسم الأنثروبولوجيا للمسح الجيولوجي، والمتحف الوطني الكندي في أوتاوا، (١٩١٠–١٩٢٥) وأستاذاً مشاركاً في الأنثروبولوجيا للمدة (١٩٢٥–١٩٢٧) وأستاذ الأنثروبولوجيا واللغويات العامة (١٩٢٧–١٩٣١) في جامعة شيكاغو، واستاذ الانثروبولوجيا واللغويات في جامعة ييل من عام ١٩٣١ الى وفاته (Koerner 1984: pp6–7)

درس اللغات الاصلية الأمريكية (بما فيها لغات الهنود الحمر) وانتقد النظريات التطورية والانتشارية، ونشر عام (١٩١٦) أحد أشهر أعماله (منظور الزمن في الثقافة الأمريكية للسكان الأصليين: دراسة في الأسلوب) وفي عام (١٩٢١) ظهرت اولى اسهاماته اللغوية، والتي لا تزال واحدة من أفضل مقدماته لعلم اللغة، اذ قدم نظريته عن التباعد اللغوي (Linguistic drift)، الناتج عن التغير غير المنتظم في الشكل والمعنى للكلمات، والتي تنص على أن التغييرات النحوية ليست عشوائية أبدا، ومثاله الرئيس هو التباعد الذي خضعت له معظم اللغات الهندية الأوروبية أثناء انتقالها من أنظمة الانحدار المعقدة إلى مبدأ نحوي يعتمد على ترتيب الكلمات. اذ يتشكل التباعد اللغوي بالاختيار اللا–واعي من جانب المتحدثين في تلك الاختلافات الفردية التي هي متراكمة في اتجاه محدد، وإن أساس هذه الاختيارات اللاشعورية هي القيم غير المتماثلة التي تكون جوهرية لنماذج المتغيرات وكذلك لجميع النماذج الأخرى في اختصاص المتحدث، ولكن على الرغم من أن نسق القيم المعينة قسريا يحكم المتحدثين نحو الاستعمال المتحيز للألفاظ من دون وعي بشكل التزامن (Synchrony) الذي يحدد اتجاه التباعد، إلا انه يظهر بشكل التعاقب (Diachrony)، إذ يعمل على متعة حاملي أي تقليد للتحدث، ولديهم الحرية لتجاوز هذه القيم وتعديل أي جزء من اختصاصهم – مع الالفاظ الجديدة أو الامتدادات أو التبني – وعند الاعتقاد أن أغراضهم التواصلية تتطلب ذلك (Koerner 1984: pp51–55). ولتقريب الفكرة نسوق مثالا محليا لذلك التباعد الذي تعرضت له اللغة العربية بالتغير من الفصحى الى العامية او التغاضي عن تداول الالفاظ التي كان مستعملة في اللغة والشعر الجاهلي لصعوبتها الصوتية والدلالية، أي التغير الدلالي للألفاظ.

درس أنماط الصوت في اللغة وأظهر أن أصوات اللغة، بدلاً من انها ظواهر فيزيقية حصرية، وانما لها قيمة نفسية(سيكولوجية)، لانتماء نظام الصوت في كل اللغات إلى نظام موحد منفصل الذي يعمل عن طريق التباين، اذ يتم تحديد مجموعات الصوت من خلال الاصطلاحات الثقافية اللغوية وليس عن طريق الضرورة الفسيولوجية، مع التأكيد على البنية اللاشعورية وحقيقية الخصائص الصوتية والنحوية للغة، كما طور النظرية القائلة بأنه يجب النظر إلى الثقافات على أنها نماذج تعليمية فردية للاصطلاح الثقافي، اي نموذج السلوك غير المقصود في المجتمع، وانه اذا اراد المرء ان يعرف كيف تبنى اللغة بالنسبة للناطقين بها، فانه من المناسب ان يوجه السؤال اليهم، واشار الى ان الفوارق بين اللغات ما هي الا فوارق في طرق التعبير عن المجال المشترك للخبرات، وليس الفوارق في الخبرات نفسها. كما يعد أحد مؤسّسي علم الأصوات (Phonology) البنيوي والقائل بنوع من النسبيّة الثقافيّة، والتي بموجبها تشكّل اللغات نماذج الثقافات والتمثّلات المختلفة لكل ثقافة، وقد اشتهر في المقام الأوّل بوصفه ألسنيّا، وتأكيد النّظريّة القائمة على أنّ اللغة هي المنظّمة والمصنّفة للتجربة الحسية، وقد شكّلت نظريّته تلك ركيزة أبحاثه الأنثروبولوجية، اذ لا تكتفي اللغة بالتشكيل المجرّد لتلك المادة الخاضعة للمقاربة بين الشعوب أو ظاهرة ثقافيّة متكاملة، وانما يمكن دراسة الثقافة بوصفها لغة، واكد في معظم اعماله على تبيان الروابط بين اللاوعي والشخصيّة واللغة والثقافة، أي تلك العناصر التي يعدها منظومة سابقة لوجود البشر وتفرض فئاتها المفاهيمية على الأفراد دون وعي منهم...وبذلك رسخ دعائم علم عام عن السلوك يتحدد بين الإثنولوجيا والتحليل النفسي والألسنيّة، وقام بتطوير توجهاته في النظم النحوية وآثارها المحتملة لدراسة الثقافة، وعمل على تدريب جيل جديد من العلماء وعدهم خبراء اللغات الهندية الأمريكية (M. Haas, M. Swadesh, B. L. Whorf, and C. Voegelin). وأثناء وجوده في جامعة(Yale)الامريكية، وشجع تلاميذه على الالتحاق باللسانيات وإلى وصف أنفسهم بأنهم أنثروبولوجيون لغويون، او توجيه تفكيرهم في أنفسهم على أنهم لغويون، الذي يتضح من تقانيهم في دراسة التراكيب النحوية للغات الأمريكية الهندية وغيرها من اللغات غير الموثقة سابقا.

أدرك منذ عام (١٩٢٠) أن لغات الجماعات لا تختلف فقط عن بعضها بعضاً، وانما فهم الجماعة للعوالم المادية والاجتماعية المحيطة بها تختلف أيضاً من جماعة لأخرى، وبدا واضحاً أن الناس أو الشعوب التي تستعمل لغات مختلفة كانت بالفعل تشعر بواقع اجتماعي مختلف. فاللغة هي دليل للواقع الاجتماعي، ويكون وجود الناس تحت رحمة اللغة الخاصة بهم والتي أصبحت وسيطاً للتعبير عن مجتمعهم، وان العالم الواقعي/ الحقيقي هو إلى حد كبير مبني بطريقة لا شعورية على أساس عادات الجماعة في استعمال اللغة، ولا توجد أبداً لغتان متشابهتان بدرجة تكفي لاعتبارهما تمثلان نفس الواقع الاجتماعي. أي استعمال الفكرة التي جاء بها الفيلسوف الألماني (Humboldt) التي مفادها أن اللغات تحتوي على مفتاح لفهم رؤى العالم المتباينة للشعوب. وكانت كتاباته تتبنى وجهة نظر مفادها أنه بسبب الاختلافات المذهلة في الانساق اللغوية، لن تكون هناك لغتين متشابهتين بما فيه الكفاية للسماح بترجمة مثالية بينهما، وانه لا توجد لغتين متشابهتين بما يكفي بحيث يمكن اعتبارهما يمثلان نفس الواقع الاجتماعي، فالعوالم التي تعيش فيها مجتمعات مختلفة هي عوالم متميزة، وليست مجرد نفس العالم مع تسميات مختلفة مرفقة. من ناحية أخرى، رفض صراحة الحتمية اللغوية الصافية، من خلال القول: سيكون من السذاجة تصور أن أي تحليل للتجربة يعتمد على النمط المعرب عنه باللغة.

تصور في كتابه (اللغة، مقدمة لدراسة الخطاب) ان اللغة وقعت في فخ المحتوى الثقافي وان الدراسة العلمية لها لا يمكن فصلها عن الأنثروبولوجيا ولا عن السيكولوجيا، اذ عدت اللغة في الاساس على انها وسيلة تؤدي اغراض بسيطة لا ترتقي الى المفهومات المجردة ولكنها ارتقت وتوسعت مدلولاتها في الواقع كتفسيرات منتقاة للمحتوى الأصلي، ويضيف ان العالم الحقيقي مبني بدرجة كبيرة في اللاشعور على عادات اللغة المتاحة داخل ذهنيات التجمعات البشرية، ولذلك يؤكد انه لا توجد لغتين متساويتين يمكن لها ان تعبر عن حقائق اجتماعية بالتساوي. فالعالم الذي تعيش فيه مختلف المجتمعات هو في الواقع عوالم متنوعة. فنحن نرى ونسمع وبالتالي نمر بتجارب متنوعة وفريدة، لان عاداتنا اللغوية في داخل مجتمعنا تفرض علينا اختيارات محددة من التفسيرات. ويذهب إلى أن القدرة على الكلام لدى الفرد لا ترجع إلى عوامل طبيعية بقدر ما ترجع في الأساس إلى كونه يولد في بيئة ثقافية. فلو تخيلنا غياب الحياة الاجتماعية بالنسبة إلى الفرد، فإنه لن يتعلم أبدا الكلام، أي لن يستطيع تعلُّم كيفية التواصل وفق النظام التقليدي لمجتمع خاص. وعلى هذا الأساس يعرف الكلام بأنه نشاط إنساني يتغير بلا حدود بقدر ما ننتقل من مجموعة بشرية إلى أخرى، لأنه ميراث تاريخي صرف للمجموعة ونتاج لاستعمال اجتماعي طويل الأمد، فالكلام هو وظيفة غير غريزية، مكتسبة؛ أي إنه وظيفة ثقافية، اما اللغة فأنها: وسيلة إنسانية محضة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نظام من الرموز اخترعت لهذا الغرض على وجه التخصيص، وهي ليست مما ينتقل غريزياً إلى الإنسان، وإنما هي ظاهرة تكتسب بالتعلم وتقوم بنقل الأفكار والانفعالات والرغبات بوساطة نظام من الرموز الصوتية المنتجة إرادياً وهذا التعريف يركز على أهم خصائص اللغة، اذ يجمع بين التوجهات الأنثروبولوجية، بوصفها الممثلة لامتداد حضارة البشر تاريخيا، والسيكولوجي بوصفه اللغة هي نتاج الانسان القصدي والمعبر عن مشاعره واحاسيسه النفسية، والتركيبة البنيوية، التي تضم نظام العلامات والرموز. واوضح أن الروابط بين اللغة والثقافة لم تكن شاملة ولا عميقة بشكل خاص، إذا كانت موجودة على الإطلاق، ومن السهل إظهار أن اللغة والثقافة لا ترتبطان بشكل جوهري، اذ تتشارك اللغات غير المترابطة في ثقافة واحدة، وتنتمي اللغات وثيقة الصلة –حتى لغة واحدة – إلى مجالات ثقافية متميزة.

كانت النسبية اللغوية بالنسبة اليه وسيلة لتوضيح ما أعده بالصراع بين الفرد والمجتمع من أجل توصيل تجاربهم الفريدة، اذ يحتاج الأفراد إلى الاعتماد على قانون عام (Code) لا يملكون إلا القليل من السيطرة عليه، وعادةً ما تكون القواعد اللغوية غير واعية، ومن الصعب على المتحدثين الفرديين الدخول إلى منطق النظام اللغوي وتغييره حسب رغبتهم. من هذا المنظور، تصبح النسبية اللغوية وسيلة لاستكشاف القوة التي تمتلكها الكلمات على الأفراد والجماعات، ومن ثم فهي مقدمة لموضوعات أحدث في الأنثروبولوجيا اللغوية، مثل الإيديولوجيات اللغوية (Smelser, 2001: P8901)

ويحدد اللغوي الأمريكي (Z. Harris) ثلاث سمات مميزة ارتبطت بالأساليب والإجراءات التي اتصفت بها اعمال (E. Sapir) سواء على مستوى اللغة والثقافة والشخصية:

١- قدرته على استخلاص النتائج من البيانات المعقدة، أي قدرته على العمق البنائي والحدس فيه.
٢- الطريقة المثمرة او الفاعلة التي اتبعها في الوصول الى الاستنتاجات من البيانات، اذ اتبع منظور التصور الشمولي، إلى جانب مهارة جدلية ملحوظة.
٣- حساسيته واستقلاليته المستحكمة، التي ربما تبدو أكثر وضوحاً في معاملته للمجتمع الحديث والفرد المعاصر، وهنا تكمن قدرته على تفكيك الافتراضات المسبقة والإدانات الضمنية والمعتقدات التي لا أساس لها، وتصور الباحث الذي يقرأ كتاباته في الحاجة إلى التأمل الأصيل والسلوك المسؤول (Swiggers, 2008: pp23-24).

وعند مناقشته لأساليب العمل التي انتهجها (Sapir) في مجال اللغة، يعين (Harris) النقاط التالية:

١- توجهت اهتماماته بشكل شمولي نحو اكتشاف بنية اللغة.
٢-البنية في اللغة (بما فيه الصوت، والقواعد، والمفردات، إلخ) من وجهة نظر اللغة نفسها، هي نتاج العمليات او في الحقيقة، ان الكيانات اللغوية هي نتيجة لعمليات التغير.
٣-بنية اللغة، من وجهة نظر اللغوي المتخصص هي نتيجة البناء، الذي يميز العلاقات بين العناصر والعمليات بطرق محددة.
٤-تتميز اعماله اللغوية نحو الاعتراف بالتنميط في اللغة (patterning)؛ اي تأسيس أنماط شاملة، وإظهار التفاعل بين البناءات المنظمة على مستويات مختلفة من اللغة.
٥-سمح (Sapir) الجمع بين العملية والنمط للتحرك باستمرار من الصورة إلى الوظيفة، ومن البنية إلى التاريخ: الكثير من أعماله هي في التزامنية(Synchronic) أي المنهج الذي يدرس اللغة دون الأخذ بالتاريخ بعين الاعتبار والتعاقبية (Diachronic) أي المنهجٌ يأخذ بعين الاعتبار نمو وتطوُّر اللغة عبر التاريخ، وان تحليله اللغوي لا يقتصر أبدا على أشكال خالصة، ولكن يبدأ دائما الخروج من النماذج واستعمالاتها(Swiggers, 2008: p24).

لاحظ (Harris) فعليا أن مفهوم (Sapir) للتنميط جعل من الممكن التمييز بين النحو والنحوية، أي بين ترتيب البناء اللغوي للمتحدث من ناحية البناء القواعدي، والصياغة التي تظهر بها بنية اللغة لذلك المتحدث، كما أرسى اهتمامه باللغة بوصفها تكامل شكلي (formal)، أو تركيبي غير محدود. واتبع المفهوم الوظيفي للشكل من أسلوبه في اللغة بوصفه صورة للسلوك، والذي تم تعريفه من خلال استعماله كنظام مرجعي رمزي. اذ يتكون هذا النظام المرجعي من وحدات المحتوى ووحدات الصورة، وكذلك من خلال العلاقات النحوية والإدراج السياقي. وتعد كل من الوحدات والعلاقات مفاهيم ديناميكية عنده: في تحليله لمعاني الكلمة، أظهر قدرات المعنى، واستغلالها عند الاستعمال، وبنية اللغة والتركيب اللغوي هما المكتملان، اذ يشير الى إن التحليل الشكلي للغة هو اكتشاف تجريبي لنفس الأنواع من العلاقات والتراكيب التي تم وضعها في المنطق والرياضيات. ويُعد اكتشافه التجريبي في اللغة ذا قيمة لأن اللغات تحتوي على (أو توحي) أنواعًا أكثر تعقيدًا من التوليفات التي اخترعها الناس من أجل المنطق، علاوة على ذلك، لا يعمل اللغوي بمعزل عن المتحدثين باللغة، ولكنه يستعمل سلوك المتحدثين كأداة الكشف عن مجريات الأمور.

ثالثاً: بنيامين لي وورف والنسبية اللغوية

ولد الاستاذ (B. L. Whorf) عام (١٨٩٧) في امريكيا، وكان شغوفا في تعليمه الابتدائي والثانوي بالعلوم، لا سيما في الكيمياء، وقد دفعه هذا الاهتمام للحصول على درجة بكالوريوس العلوم في الهندسة الكيميائية من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عام (١٩١٨)، وبعد عام من تخرجه، بدأ مسيرته المهنية في هندسة الوقاية من الحرائق في شركة هارتفورد لتأمين الحريق(HFIC)، وقد عد احد موظفي الجيل الأول من مفتشي السلامة الخاص بالحرائق وصناعة التأمين، وتعد استشارته عن الوقاية من الحرائق مطلوبة للغاية لمجموعة واسعة من شركات التصنيع، ولم تجلب خبرته الرائدة والتجارب المتعارف عليها الاعتراف المهني له في مجال الوقاية من الحرائق المتزايد فحسب، وانما جذبت أيضًا العديد من العملاء إلى شركة (HFIC). ولأنه ساهم بشكل كبير في نمو أعمال تلك الشركة، احتفظت الشركة بخدماته فيها لاسيما عند منحه الإجازات الطويلة او القصيرة الأجل لمتابعة أبحاثه العلمية في مجال اللسانيات. ولم

يترك الشركة حتى وفاته (١٩٤١). زودته حياته المهنية بوصفه مهندساً كيميائياً وكذلك تعليمه في العلوم بقدرة البحث والتحليل العلمي التي لا توجد عادة عند اللغوي، ومن خلال الاعتماد على مفردات العلوم لديه، اذ قام بشكل مستمر بإدخال اللسانيات إلى الكلمات والاستعارات العلمية كما وصف وتحليل النظم المعقدة وبناءات اللغة، وقدم العديد من الأمثلة عن الحوادث وتقارير الحرائق والانفجارات في المواقع والمؤسسات الصناعية من مجاله الوظيفي وكيف تسهم الكيانات المادية كالأسلاك المعطوبة والهياكل الخشبية... في حدوث الحرائق من جهة، فضلا عن اساءة فهم الناس للعبارات اللغوية التحذيرية في تلك المواقع من جهة اخرى، ويسوق العديد من الأمثلة نذكر منها المثال الاتي: تلقي مدبغة الجلود المياه الثقيلة المحملة بالمواد والفضلات الحيوانية في حوض خارجي للترسيب، نصفه مغطى بالألواح الخشبية والنصف الاخر مكشوف، والذي يطلق عليه لفظيا على انه حوض او (بركة تجمع الماء)، وقد حدثت اعمال للحدادة واللحام قرب ذلك الحوض فتطاير شرر من اللحام الى داخل الحوض، فأحدثت شعلة نارية كبيرة التهمت الالواح الخشبية وانتشرت الى البنايات المجاورة، والسبب في ذلك هي تلك الغازات المنبعثة من تفسخ الفضلات الحيوانية المحجوزة تحت الالواح الخشبية، واصبح الموقف معاكسا لما يعني به الماء او المتعارف عليه بانه حوض ماء، أي هناك عاملا آخراً يدخل في مشاكل حدوث الحرائق، هو الفهم المحدد لغويا الذي يمتلكه الناس عن العوامل والمواقف المادية (Carroll, 1978: p139).

جدد اهتمامه باللغات المكسيكية، وخاصة الأزتك والمايا، وأصبح عضوًا في الجمعية اللغوية الأمريكية (LSA) عام (١٩٢٩)؛ وفي السنة الأولى من عضويته قدم ورقة بحثية عن الجذور المعجمية للغة المايا في الاجتماع السنوي لـ(LSA) وبعد وقت قصير من هذا العرض، حصل على أول منحة بحثية لدراسة أطلال حضارة المايا في المكسيك. وقد تركزت ابحاثه في مجالين هما: ثقافات ولغات هنود الهوبي وشعب المايا من جهة، ودمج اللغة والفكر والثقافة من جهة اخرى. كان يربط بالنسبة للجزء الأكبر من اعماله في ميدان المجال الاول (أي هنود الهوبي في امريكا وشعب المايا في المكسيك)، لأنه عادة ما يعتمد عليهما لتجسيد جوانب نظريته في النسبية اللغوية، وتوجه في المجال الثاني نحو تفاعل اللغة والفكر والثقافة الذي مكن عملية النمو العقلي في التنمية البشرية، وعد النمو العقلي عنصرا أساسيا لنوعية التنمية المعرفية المطلوبة لحل قضايا الإنسان في الحاضر والمستقبل، وأصر على أن بقاء او دوام الأنواع البشرية وكذلك البيئة يعتمد بشكل كامل على تطور التفكير والإدراك.

قدم في بحثه (نموذج إدراك الهندي الأمريكي للكون) مثالا لشرح العلاقة بين اللغة والفكر، اذ أشار إلى أن لغة (Hopi) على عكس اللغات الغربية، لم يكن لها فعل تقليدي للأزمنة، وقد استعمل هذه الميزة النحوية المميزة في لغة الهوبي لتطوير قضيته ضد مفهوم اللغة العالمية و / أو الثقافية. وأشار إلى أن المتحدثين بها الذين لا يعرفون إلا هذه اللغة والأفكار الثقافية لمجتمعهم لم يكن لديهم نفس مفهومات الوقت التي يحملها المتحدثون باللغة الإنجليزية، على وجه التحديد، ذكر أن متحدث الهوبي لم يكن لديه فهم للوقت كمتسلسل سلس يتدفق فيه كل شيء في الكون بمعدل متساو من الماضي إلى الحاضر، أو بالترتيب العكسي. كما انها لا تحتوي على كلمات، أو إنشاءات عبارات، أو تعبيرات لفظية تشير مباشرة إلى مفهوم الوقت بالإضافة إلى مفهومات الماضي والحاضر والمستقبل. وأوضح انه بدلاً من مشاهدة المتحدثين بهذه اللغة، محاصرين في الميتافيزيقا المعيبة وتحدثهم بلغة ناقصة، رأى أنه لديهم وعي بالزمن والمكان اللذين يختلفان ببساطة عن متحدثي اللغة الإنجليزية. وعلى أساس هذا الاستنتاج، ادعى أن الانسان الهوبي يرى الكون من خلال عدسة مختلفة عن المتحدثين بلغات أخرى. وأيدت هذه الملاحظة أطروحته بأنه هناك طرق إدراك للكون بخلاف تلك المكرسة في العلوم الغربية التقليدية. ولأنه اعتقد أنها كانت مصممة ثقافيا ولغويا، فقد جادل بأن المرء يستطيع أن يفهم رؤى العالم للآخرين فقط من خلال فتح نفسه أمام ثقافات ولغات أخرى. وأكد أن بنية اللغة الإنجليزية، شأنها في ذلك شأن جميع اللغات، وضعت نظامها الميتافيزيقي المتميز على العالم (Subbiondo, 2015: p576).

واضاف: أنه من غير الصحيح التسليم بأن المرء من شعب الهوبي الذي لا يتكلم سوى لغة الهوبي وليس لديه سوى الأفكار الثقافية المرتبطة بمحيطه الخاص، ان يكون لديه نفس مفهومي الزمان والمكان اللذيْن لدينا، وهما مفهومان غالبا ما يُفترض أنهما يتمتعان بمصدر حدسي، ويعد هذين المفهومين من العموميات العالمية. وبصورة خاصة، اذ ليس هناك ذلك المفهوم أو الحدس العام

للزمان الذي بمقتضاه يبدو هذا الأخير متصلا ومتدفقا بانتظام. ويكشف هذا النص منذ البداية أنه يعتقد أن إدراكنا للعالم يتحدد بـ(اللغة الأم) التي نتحدث بها، ويؤكد أن دراسته المعمقة لتلك اللغة كشفت له بأنه لا يوجد فيها أي عنصر لغوي يرتبط بصورة مباشرة بمفهوم الزمن، أي لا تحتوي هذه اللغة على كلمات أو عبارات أو صور نحوية تحيل إلى التقسيم الذي نحدثه نحن في الزمان من ماضٍ وحاضر ومستقبل، أو ما يوحي بمفهوم الديمومة أو المدة... ومن ثم لا تنطوي هذه اللغة على أية مرجعية للزمن بطريقة صريحة أو ضمنية، وقد شعر بان تلك اللغات افترضت مسبقا رؤية مشتركة للعالم بسبب المدة الزمنية الطويلة التي كانت خلالها تشترك أوربا بالثقافة نفسها، ويقول ان اكثر ما يثير الدهشة هو ان شتى العموميات في العالم الغربي مثل الزمن والسرعة والمادة ليست أساسية في بناء صورة ثابتة عن الكون، ويمكن ان ندعو الهوبية بشكل خاص لغة من دون زمن، اذ لا تعترف تلك اللغة بالزمن كبعد خطي قابل للقياس والتجزئة الى وحدات مثل الابعاد المكانية وهكذا فإنها لا تستعير تعبيرات مكانية من اجل التعبير عن الظواهر الزمانية وهي طريقة شائعة جدا في اللغات الاوربية مثل في الصباح، وعند الباب، وقبل الظهر، وبين التاسعة والعاشرة صباحا، وفي العلبة، كما انها لا تجيز التعبيرات مثل خمسة أيام، والاكثر من هذا، فان الأفعال في تلك اللغة لا تأخذ ازمنة مشابهة لأزمنة الأفعال في اللغات الاوربية(Carroll, 1978: pp113-116).

وعبر بوضوح عن تصوراته بأن التفكير البشري، مثل القدرات البشرية الأخرى، مستمر في التطور. وأشار إلى أن تطور التفكير ضروري لكي تحتفظ الكائنات البشرية بنفسها وبيئتها. وقال إنه يمكن العثور على تاريخ من النمو العقلي في تاريخ كل لغة، لأن اللغات لها أنظمة خاصة بها للتمييز والاختيار والتفكير. ودافع بقوة عن فكرة أن اللغة كانت الغاية النهائية لفهم تطور التفكير.

قدم نموذج علمي جديد في بحثه (اللغة والعقل والواقع) يستند إلى قبول العديد من الأنظمة المنطقية المتباينة والمتنوعة التي تكمن وراء البنى النحوية للغات العالم، اذ لم يكن انتقاده الرئيس للعلم الغربي مستنداً إلى استنتاجاته وانما الى تحليلاته المنهجية للكون، وكان مقتنعاً بأن الأساليب الغربية للتحليلات كانت محدودة للغاية بسبب الافتراض الأولي للعلماء الغربيين بأن هناك منطقًا عالميًا (universal logic) وأعلن أن الطريق مفتوح أمام العلماء الغربيين لتجاوز مفهومهم الخاص بوجود منطق عالمي، وأنهم بحاجة إلى الاعتراف بوجود وصحة النظم المنطقية البديلة، وإنه إذا كان بإمكان المرء قبول أنظمة منطقية بديلة، فيمكن للمرء أن يقدّر رؤى العالم الأخرى، التي يمكن أن توفر رؤى جديدة في جميع جوانب الواقع. وأضاف في بحثه (العلوم واللغويات) أنه نظرًا لأن كل لغة لها نظام منطقي خاص بها، إذا هناك العديد من الأنظمة المنطقية حيث توجد اللغات. وأشار إلى أنه في دراستهم للظواهر الخلفية للغة، اكتشف علماء النحو المقارن أن مفهوم عوالم اللغة كان زائفًا لأنه لم تكن هناك سمة مشتركة لكل اللغات. وأكد أن البنية النحوية ومعجم كل لغة الذي تبوب بأكثر من مجرد صياغة التعبير عن الأفكار، انما يشكل محتوى الأفكار أيضاً (Subbiondo, 2015: p576).

كانت الأفكار بالنسبة إليه تعتمد على اللغة التي تم تصورها والتعبير عنها. اذ وثّق حقيقة أن علماء النحو المقارن في دراسة اللغات التي لا تنتمي الى الهندو –أوروبية (كالجزيرية، والصينية، والتبتية، والهوبية) قد اكتشفوا أن كل لغة لها رؤيتها للعالم المتميزة. وأوضح وجهة نظره من خلال الإشارة على وجه التحديد إلى لغة (Hopi) لإظهار أن قياسات الوقت والسرعة كانت مختلفة للمتحدث بتلك اللغة من المتحدثين باللغات الغربية. علاوة على ذلك، حذر من أنه من خلال منح الامتياز لرؤى العالم عند متحدثي اللغات الهندية الأوروبية، سيتم تشجيع المرء للتغاضي عن البانوراما الفريدة لرؤى العالم المدمجة في اللغات الأخرى. واضاف إنه من خلال امتياز اللغات الغربية كنموذج وحيد لكل اللغات ساهم فيما يمكن عده بالغطرسة الفكرية المحضة التي تمنع الناس من التقبُّل وحب الفضول للغريب عنهم، وغير المنحاز بشكل كافٍ نحو توسيع مداركهم وأفكارهم.

وناقش في كتابه اللسانيات بوصفها العلم المحكم، بأن العلم يمكن أن يحقق تقدماً قابلاً للقياس، إذ لم يركز على تغيير الحقائق، وانما على تغيير كيفية التفكير في الحقائق. واستشهد على وجه التحديد بنتائج عالم اللغة الأمريكي (L. Bloomfield) الذي أكد الى أن اللغة قد لعبت دورا لا غنى عنه في دفع عجلة التقدم العلمي، أوضح أن البحث العلمي بدأ بمجموعة من العبارات او الجمل اللغوية التي سجلت ملاحظات محددة، وبعد إجراء تجارب مكثفة، اصبحت النتائج جزءًا من السجل العلمي، عندما تم التعبير عنها في

مجموعة أخرى من العبارات، والتي تكون بمثابة الأساس لمزيد من البحث والتجارب. لذلك أيقن (Whorf) أنه لا يمكن أن يكون هناك تقدم علمي ولا علم من دون لغة. واستنتج أنه نظرًا لأن علم اللغة (اللسانيات) كان علماً تجريبياً، فإنه يستحق تمامًا المكانة الأكاديمية والدعم المالي الذي قدمته الفيزياء والكيمياء. وأشار إلى أنه شبيه بزملائه العاملين في العلوم الأخرى، أي عندما يقوم علماء اللغة بجمع البيانات، واجراء التجارب على البشر، وصياغة استنتاجات التي يمكن التحقق منها(Subbiondo, 2015: p577).

ركز اهتمامه في منشوره اللغة والمنطق، على طبيعة وبنية النظم المنطقية البديلة في اللغات المختلفة ودورها في تشكيل رؤى العالم المتنوعة، وقال إن الاختلافات في اللغات ينعكس في تفسيرات مختلفة للحقائق. اذ يعتقد أن هناك حقيقة واحدة مفهومة وفقاً لرؤى العالم المدمجة في لغة المرء. وبالاعتماد على معرفته بالهندسة الكيميائية، قام بمقارنة اللغات بنوعين من الخلطات من المواد المادية: الميكانيكية والكيميائية، وأشار إلى أن المزيج الميكانيكي للمادة يتألف من ان إضافة أي عنصر لا يغير مظهر المادة. من ناحية أخرى، يتكون الخليط الكيميائي من مواد مناسبة للطرفين تغير بشكل واضح مظهر المادة. وبعد مناقشة مستفيضة، قام بتصنيف الإنجليزية بوصفها لغة ميكانيكية وان لغة شعب الشوني (Shawnee) وهي احدى لغات سكان أمريكيا الاصلين على انها لغة كيميائية. وأشار إلى أن النظام المنطقي للغة الإنجليزية مثل نسبيها الهندو–أوروبي، واليونانية تقوم على خليط ميكانيكي (Subbiondo, 2015: p577).

واعتقد أن الحقيقة في أبعادها الكاملة لا يمكن تفسيرها من خلال النظام المنطقي لأي لغة معينة، بغض النظر عن مدى توسع نظامها المنطقي. وأكد أن أجيال من الثقافات الغربية لم تعرب عن أكثر من تحليلات مؤقتة للواقع على الرغم من أن كل جيل قد حدد بدقة أن تحليله كان نهائياً. وناقش بأن التصحيحات المعقولة لهذا التحليل النهائي كانت في مختلف اللغات غير الغربية وتطورت هذه اللغات أيضاً على مر القرون بشكل مستقل عن اللغات الغربية. ونتيجة لذلك، توصل المتحدثون باللغات غير الغربية إلى تحليل مختلف، ولكنه منطقي على حد سواء، للواقع. وأكد أن الفائدة الأساسية لفهم النظم المنطقية البديلة للغات غير الغربية هي أنها يمكن أن تقدم البحث العلمي. وكان من الممكن، حسب رأيه، أن اللغات غير الغربية يمكن أن تؤدي إلى فهم معقول للقضايا العلمية المعقدة التي لا يمكن وصفها في اللغات الغربية. وأكد مراراً وتكراراً خلال كتاباته أن اللغات اختلفت ليس فقط في تركيب الجمل، ولكن أيضًا في المحتوى الذي يمكن تخيله من الأحكام الصادرة بحقها، اذ كان في عهده كما هو الحال اليوم ولاء قوي لعصمة العقل المنطقي الشامل.

طرح فرضيتين رئيسيتين: أن التراكيب المختلفة للغات سوف ترتبط بالاختلافات المعرفية غير اللغوية وأن اللغة الأصلية للفرد سوف تؤثر على نظرته للعالم أو تحدده، وهذا يعني، أساسًا، أن اللغة والفكر والثقافة مرتبطة ببعضها، وتعد واحدة من أحدث الإصدارات من النسبية اللغوية التي نشأت في التاريخ الحديث. واثار مبدأ النسبية اللغوية الذي قدمه الكثير من النقاش في الاوساط الاكاديمية، فالمتحدث لا يرى العالم إلا من خلال لغته التي تساعده على التفكير والتطور وبالتالي أن اللغة بصياغتها العامة تحدد التفكير، وينطوي هذا الموقف على جانبين هما:

١- التسليم بالنسبية اللغوية، أي أن المتكلمين باللغات المختلفة لديهم إدراكات وتصورات مختلفة للعالم.

٢- الحتمية اللغوية، أي الادعاء بأن بناء اللغة يضع قيوداً أو شروطا على تمثيلات اللغة (McAfee, 2004: pp26-28).

واعتقد ان خلفية النظام اللغوي ليس مجرد وسيلة لإعادة انتاج الافكار وانما تشكيل الافكار والبرنامج الموجه لنشاط الفرد الذهني وكل ما يرتبط بتحليل الانطباعات وعن توليفة مخزونه الذهني، وان صياغة وبناء الافكار العقلانية لا تعد اجراءات مستقلة، انما جزء من قواعد النحو. ويضيف، وبفضل تمايز اللغة رموزها وتركيباتها الصرفية والصوتية فان الثقافة السائدة لأي مجتمع هي انعكاس مباشر للخصائص التي تتمتع وتتميز بها لغتها. ومثال ذلك ان هناك لغات تحتوي على اسماء كثيرة لبعض الاشياء التي تجد اهتماما شعبيا وتاريخيا مثل الإبل او الحصان او السيف في لغتنا العربية والكثير من الاسماء والصفات لمختلف الاشياء، واعتقد ان وفرة تلك المفردات تعطي مؤشرا موضوعيا لتأثير اللغة واستحواذها على طريقة التفكير، اذ تسهل لغة معينة تمرير بعض المفردات او

التشبيهات المحفزة على الابداع والتأمل بينما تخفق لغة اخرى في انجاز تواصل فكري إيجابي، وبناء عليه فان التصور المنطقي لهيمنة جانب معين في ثقافة معينة قد يكون له ما يبرره لغويا.

ويرى أن شكل اللغة المعين، يؤثر في إدراك الفرد للعالم، ويفسر ذلك بأن اللغات تختلف بشكل كبير، ولهذا فإن العالم يتم إدراكه بشكل مختلف من خلال المتحدثين للغات مختلفة. فالتفاحة (مثلا) اسم علم مؤنث للمتحدث باللغة العربية في حين للمتحدث باللغة الألمانية اسم علم مذكر، وبالتالي يمكن ان يتصورها الأول بالفتاة الجميلة ذات الشعر الطويل، وعند الثاني كالرجل الذي يمتلك الشوارب الضخمة.

ذهب على خطى أستاذه (Sapir) إلى أن هناك ارتباطا حقيقيا بين اللغة والثقافة والحياة النفسية، فالإنسان لا يعيش في عالم موضوعي فقط، ولا يعيش في خضم النشاطات الاجتماعية كما يتصورها الحس المشترك في العادة، وإنما تتحدد حياته بعناصر لغوية تُشرطه، وبالتالي فإنه من الخطأ الاعتقاد بأننا نتكيف مع الواقع بمعزل عن اللغة، كما أنه من الخطأ عد اللغة مجرد أداة مساعدة لمواجهة بعض المشكلات المرتبطة بالتواصل أو بالتفكير، أي يتم بناء العالم الواقعي لا شعوريا إلى حد بعيد على العادات اللغوية للجماعة، وان الكيفية التي نستقبل بها معطيات حواسنا)البصر، السمع الخ(تتحدد بنسبة كبيرة بالعادات اللغوية لمحيطنا، التي تجعلنا مُهَيَّئِين لنوع من التأويل.

وقدم مفهوم المعدل القياسي الأوربي (Standard Average European) او الاوربية القياسية لتجميع اللغات الاوربية الحديثة، بأن هذه اللغات تتميز بعدد من أوجه الشبه بما في ذلك بناء الجملة والنحو او القواعد، والمفردات واستعمالها، فضلا عن العلاقة بين الكلمات المتناقضة، وأصولها، والتعابير الاصطلاحية وترتيب الكلمات مما جعلها تبرز من بين العديد من مجموعات اللغات الأخرى حول العالم التي لا تشاطرها أوجه التشابه هذه(McAfee, 2004: p28) .

يمكن اختزال توجهاته بالمسائل العشرة الاتية:

١. تجسد اللغات الطراز المتكامل للتحدث أو الانساق اللغوية الاساسية، التي تتكون من اساليب محددة للتعبير عن الفكر والخبرة، ويجب أن تكون في صيغة نظام فرعي يتألف من أنماط ذات معنى للمتكلم المحلي.
٢. يمتلك المتحدث (المتكلم) المحلي نسق مفاهيمي مميز لـ(تنظيم الخبرة)، مثل نسق الألوان واشتقاقاته، أي اشتقاق اللون الأسود عند هنود النافاهو مثلا هي مزج اللونين الأزرق والأخضر.
٣. ترتبط رؤية العالم المميزة للمتحدث المحلي بالكون ومدى علاقاته به. أي تلك الرؤيا الميتافيزيقية للزمان او المكان او المادة.
٤. تحدد الثقافة النسق اللغوي الأساسي، وجزئيا النظام المفاهيمي المصاحب او المرتبط به المتكلم المحلي.
٥. تحدد العلاقة بين اللغة والثقافة جزئيا رؤى العالم الذي يربط المتحدث مع محيطه.
٦. يتكون الواقع عند المتحدث من ذلك التدفق المتطور للانطباعات.
٧. ان وظيفة اللغة الأساس هي الكشف عن الحقائق ويتم التعبير عنها باللغة.
٨. طبيعة الكون هي وظيفة من وظائف اللغة التي تم ذكرها.
٩. لا يعكس النحو او القواعد الواقع، ولكنه يتباين بشكل تعسفي مع اللغة.
١٠. لا يعكس المنطق الواقع، ولكنه يختلف بشكل تعسفي مع اللغة (Black, 1959: pp229–230).

الخاتمة:

اعتقد (Boas) أن المتحدثين بلغات مختلفة لديهم رؤى متباينة للعالم، وهذا يرجع إلى الاختلافات المفاهيمية للشعوب، وأن البشر غير محددين باللغات التي يتحدثون بها، وما اللغة إلا أداة يمكن تعديلها باستمرار، وكتب إدوارد سابير (تلميذ Boas) ومعلم (Whorf) في مقالته التي صدرت عام ١٩٢٨ بعنوان مكانة اللسانيات بوصفها العلم: إن العوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة هي عوالم متميزة، وليست مجرد نفس العالم الذي تعيش فيه البشرية ككل، ولكن مع تسميات مختلفة، وما اللغة إلا دليل رمزي للثقافة،

ويمكن للغويات أن تساعد التخصصات الأخرى في فهم الطبيعة البشرية. وتقع وظيفة اللغة أولا في مرحلة ما قبل العقلانية، لان الفكر الكامن فيها الذي قد يُقرأ في النهاية من بنيتها الرمزية. وآمن (Sapir) بأهمية منظور الفرد في جميع جوانب الثقافة. واتبعهم (Whorf) بالقول: أن القدرة على الفهم اللغوي والإنتاج هي جانب كامل التكوين للكائن النفسي أو الروحاني البشري، وعد اللغة ذات وجهتين – نظام توافقي ثقافي مشترك، ومنتج فردي، وذكر أن الموقع الحقيقي للثقافة هو في تفاعلات أفراد معينين، وعلى الجانب الشخصي، في عالم المعاني التي قد يجرِّبها كل واحد من هؤلاء الأفراد بلا وعي لنفسه بالنسبة له، ولا يمكن للمرء الاعمام على الاطلاق بالرمزية متأصلة في اللغة للسكان ككل دون إيلاء الاهتمام الواجب للأفراد داخل المجتمع. ولا شك في أن الموضوعات والمسائل التي غالباً ما تم تحديدها كنسبية لغوية هي استمرارية للنموذج الذي قدمه رائد المدرسة الامريكية (F. Boas) وكما يأتي:

أولاً: اتبع كل من (Sapir and Whorf) توجهات الاستاذ (Boas) الفكرية للغات الأصلية في أمريكا الشمالية بوصفها الاسلوب الذي يولد انجذاب أكثر عمومية للطرق البديلة في العالم والرغبة نحو فهم هذه الطرق.

ثانياً: بالقدر الذي بدأ فيه التركيز على التنوع البشري، كانت النسبية اللغوية مرتبطة بالنسبية الثقافية، إن لم تكن نتيجة طبيعية لها، وكانت مصحوبًة باهتمام للتمثيل الصحيح للنظم النحوية التي لا يمكن وصفها باستعمال فئات اللغات الأوروبية.

وثالثًا: الواضح أن نفس الموقف المضاد للرسية الذي ميز وجهات نظر (Boas) عن التنوع البشري قد حفز غياب الحكم القيمي المرتبط بالتنوع اللغوي.

المصادر:

1. Carroll, J B (1978) **Language, Thought, and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf**, M.I.T. Press, Boston.
2. Carroll, John B. (editor) 1956."**The Relation of Habitual Thought and Behaviour to Language**. M.I.T. Press, Boston.
3. Christina McAfee (2004) **The Linguistic Relativity Theory and Benjamin Lee Whorf**, the McMaster Journal of Communication, Volume 1, Issue 1, Article 3
4. Christina McAfee (2004) **the Linguistic Relativity Theory and Benjamin Lee Whorf**, McMaster Journal of Communication. Vol. 1, Issue 1, Article 3
5. Joseph L Subbiondo (2015) **Whorf, Benjamin Lee (1897–1941)** California Institute of Integral Studies, San Francisco, CA, USA Elsevier Ltd
6. Kay, Paul and Willet Kempton (1983) "**What is the Sapir-Whorf Hypothesis**?" Berkeley: Berkeley Cognitive Science Report No. 8.
7. Konrad Koerner(1984) **Edward Sapir, appraisals of his life and work**, john Benjamin's publishing company Amsterdam / Philadelphia.
8. Max Black (1959) **Linguistic Relativity: The Views of Benjamin Lee Whorf**, The Philosophical Review, Vol. 68, No. 2 (April) JSTOR
9. Miller, Robert L (1968) "**The Linguistic Relativity Principle and Humboldtian Ethnolinguistics**". Paris: Mouton & Co.
10. Neil J Smelser; Paul B Baltes (2001) **International encyclopedia of the social & behavioral sciences**, Amsterdam ; New York: Elsevier.
11. Penn, Julia M (1972) "**Linguistic Relativity versus Innate Ideas: The Origins of the Sapir-Whorf Hypothesis in German Thought**". Paris: Mouton & Co.
12. Pierre Swiggers (2008) **the collected works of Edward Sapir**. 1, General linguistics, Walter de Gruyter GmbH & Co. KG,, Berlin.
13. Rollins, Peter C (1980) "**Benjamin Lee Whorf: Lost Generation Theories of Mind, Language, and Religion**". Ann Arbor: University Microfilms International.
14. Rossi-Landi, Ferruccio (1973) "**Ideologies of Linguistic Relativity**", 14-22, 28-35. Paris: Mouton & Co.

الهوامش:

(١) البرمجة اللغوية العصبية: هي مجموعة طرق وأساليب تعتمد على مبادئ حسية ولغوية وإدراكية تهدف لتطوير السلوك الإنساني نحو التميز والإبداع والتطور ومساعدة الأشخاص على تحقيق نجاحات وإنجازات أفضل في حياتهم.

(٢) تمتد هذه اللغات (الهندية – الأوروبية) المشتركة في الأصل من غرب أوروبا إلى شرق الهند. وهي إحدى أكبر أسر اللغات. ويعتقد أنّ كل هذه اللغات (كالهندو إيرانية، والارمينية واليونانية والالبانية، واللغات اللاتينية كالإسبانية، والإيطالية، والفرنسية، والبرتغالية والرومانية، واللّغات الجرمانيّة كاللغة الإنجليزية، والألمانية، والنرويجية، والسويدية) تشترك في جذر مشترك، أي تلك اللغة التي تعود إلى ما قبل التاريخ وتفرّعت منها كل هذه اللغات، وتدعى اللغة الهندية الأوروبية البدائية. ويقدّر عدد اللغات واللهجات المنتمية لهذه الأسرة بقرابة الخمس مائة. ويبلغ تعداد المتكلمين بها (كلغة أم) في العالم حوالي الثلاثة مليارات.